آيات المأوى والمثوى
التي ذكرت في القرآن الكريم
(دراسة موضوعية)

بحث مقدم من قبل الدكتور
م. د. أحمد علي دايح
تدريسي بجامعة الانبار
Email: ahmed.dayeh@uoanbar.edu.iq

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليهم وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله ومعجزة نبيه الخالدة صلوات الله وسلامه عليه، ومن إعجازه أنك لا تجد فيه مفردتين بذات المعنى، فكل حرف وكل كلمة وضعت فيه لتؤدي غرضها ومعناها المنشود الذي أراده الله عز وجل سواءً علمناه أم لم نعلمه، ومن هذا المنطلق فإن هذا البحث يتناول مفردتي المأوى والمثوى الواردتان في القرآن الكريم في مواضع ومناسبات مختلفة، في حين أن هناك إشكال دور حول معنى هاتين المفردتين إذ يذهب البعض إلى أنهما مترادفتان، في حين يخصص البعض أحدهما في موضع ذكر الجنة (المأوى) والآخر في موضع ذكر النار(المثوى)، فما هو الصواب؟، ومن هنا برز دور هذا البحث ليدرس مواضع ذكر هاتين المفردتين دراسةً استقرائيةً تحليليةً ليحل هذا الإشكال ويبين لنا ما تشير إليه المفردتين من معانٍ، وما هو الفرق بينهما وذلك بالوقوف على أقوال المفسرين فيهما.

الكلمات المفتاحية: المأوى – المثوى – المنزل – المسكن – المستقر.

Summary:

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the most honorable of creation, our master and beloved Muhammad, may Allah's prayers and peace be upon them, and all his family and companions, and those who follow them in goodness until the Day of Judgment.

Then:

The Noble Quran is the Book of Allah and the eternal miracle of His Prophet, may Allah's prayers and peace be upon him, and one of its miraculous Ness is that you do not find in it two words with the same meaning. The research deals with the terms shelter and abode mentioned in the Holy Quran in different places and occasions, while there is a confusion about the meaning of these two terms, as some say that they are synonymous, while some allocate one of them in the place of mentioning Hell (residence) and the other in the place of mentioning Paradise (Paradise), so what is right?, and from here emerged the role of this research to study the places mentioned in these two terms in an inductive and analytical study to solve this problem and show us what the two terms refer to in terms of meanings, and what is the difference between them, And by standing on the words of the interpreters of them.

Key words: shelter - abode - home - dwelling – stable.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين منزل القرآن على عبده الكريم محمد أفضل المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله ومعجزة النبي صل الله عليه وسلم الخالدة، الذي يصلح لكل زمان ومكان، تجد فيه من كل علم نصيب، فيه من التشريعات والأحكام ما لا يعد، وفيه من الآداب والأخلاق والقيم والمبادئ والأساليب ما لا حصر له، فهو كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا ﴾ [النحل من الآية: ٨٩].

فالقرآن الكريم لم يدع صغيرةً ولا كبيرةً من أمور الدين والدنيا إلا تطرق إليها، فهو هداية ونور مبين، وتذكرة للذاكرين المتدبرين قال تعالى: ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص من الآية: ٢٩]

ومن هذا المنطلق تجد القرآن الكريم يزخر بالمفردات التي تحمل معاني مختلفة ومن هنا فإن الحديث في هذه المسألة البحثية يتمحور حول لفظتي المأوى والمثوى المذكورتان في القرآن الكريم في مواضع وبدلالات مختلفة، وسنتعرف على معنيهما ومواضع ذكرهما في القرآن الكريم وما يشيران إليه.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في استنباط الدلالات والمعاني التي تتعلق بلفظتي المأوى والمثوى التي وردتا في القرآن الكريم والتفريق بينهما، والوقوف على آراء المفسرين فيهما.

مشكلة البحث وأسباب اختباره:

- ما هو مفهوم المأوى والمثوى وإلى ماذا يشيران؟
- هل تعد لفظتي المأوى والمثوى مترادفتان أم أن لكل منهما معنى خاص به؟
- ما المواضع التي ذكر فيها المأوى والمثوى وهل هناك استخدامات خاصة لهما؟
- ما هو رأي المفسرين في الفرق بين المأوى والمثوى في القرآن الكريم.

أهدف البحث:

_ التعرف على مفهوم المأوى والمثوى وما يشيران إليه.
_ التفريق بين لفظتي المأوى والمثوى.
_ التعرف على استخدامات القرآن الكريم للفظتي المأوى والمثوى.
_ الوقوف على مواضع ذكر هاتين اللفظتين.
_ ذكر آراء المفسرين في التفريق بين المأوى والمثوى في القرآن الكريم.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بتتبع آيات المأوى والمثوى في القرآن الكريم واستنباط الفرق بينهما والوقوف على آراء المفسرين فيهما.

الدراسات السابقة:

لم أعثر -على حد اطلاعي- على بحث يتناول آيات المأوى والمثوى دراسة تطبيقية بالطريقة التي تم تناول الموضوع فيها في هذا البحث، ولكن توجد العديد من كتب التفسير التي تم الرجوع إليها والاستفادة من مكنوناتها.

خطة البحث:

الملخص
المقدمة
المبحث الاول: التعريف الاصطلاحي والمفاهيمي للألفاظ ذات الصلة ومواضع ذكرها.
المطلب الأول: مفهوم المأوى لغة واصطلاحًا.
المطلب الثاني: مفهوم المثوى لغة واصطلاحًا.
المطلب الثالث: الالفاظ ذات الصلة.
المطلب الرابع: الفرق بين المأوى والمثوى من حسب آراء المفسرين.
المبحث الثاني: آيات المأوى والمثوى بمعنى المقام والمرجع والمنزل والمستقر وأقوال المفسرين فيها.
المطلب الاول: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.

المطلب الثاني: ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.
المطلب الثالث: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾.
المطلب الرابع: ﴿وَما كُنْتَ ثاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾.
المطلب الخامس: ﴿ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.
المطلب السادس: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾.
المطلب السابع: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ .
المطلب الثامن: ﴿ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾.
المطلب التاسع: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.
المطلب العاشر﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾.
المطلب الحادي عشر ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾.
الخاتمة.
النتائج.
فهرست المصادر والمراجع.
فهرست الموضوعات.
.. والله ولي التوفيق.

المبحث الأول
التعريف المصطلحي والمفاهيمي للألفاظ ذات الصلة ومواضع ذكرها

إن موضوع هذا البحث يدور حول مفردتي المأوى والمثوى، ويجدر بنا قبل البدء في صلب الموضوع التطرق إلى تعريفهما كل على حدة من جانبي اللغة والاصطلاح وذلك لنعطي صورة عامة عما تشير إليه هاتين المفردتين.

المطلب الاول: مفهوم المأوى لغة واصطلاحًا

فنبدأ أولاً بتناول معنى المأوى لغةً ثم معناه اصطلاحًا.

أولاً: المأوى لغةً.

أصلها أَوَى (بالفتح) ويأوي أوياً إذا أقام نقول أوى فلان إلى منزله سكنه وأقام فيه ورجع إليه، والمأوى هو كل مكان يأوي إليه الشيء ليلاً أو نهاراً.(١)

ثانيًا: المأوى اصطلاحًا.

لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي في مفهوم المأوى فكلاهما يشير إلى أن المأوى هو مصدر أوى يأوي أويًا ومأوى، والمأوى اسم للمكان الذي يسكن فيه ويأوي إليه، ومنه قوله تعالى في التنزيل: ﴿ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ١٤]، ويقال أوى إلى منزله أقام فيه.(٢)

ويتبين لنا مما يبق أن المأوى يأتي بمعنى المسكن أو مكان الإقامة.

---

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٢٢٧٤/٦، باب الواو والياء، فصل الألف، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، ٣٢/١، كتاب الألف، الألف مع الواو وما يثلثهما، وتاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد ابن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ١١٣/٣٧، باب الواو والياء، فصل الهمزة مع الواو و الياء.

(٢) ينظر: الكليات، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، (٨٠٣)، والموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، مطابع دار الصفوة – مصر، ط١، من١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ، ٢٩٢/٣٧.

المطلب الثاني: مفهوم المثوى لغة واصطلاحًا.

نبدأ أولاً بتناول معنى المثوى لغةً ثم معناه اصطلاحًا.

أولاً: المثوى لغةً.

أصلها ثَوَى (بالفتح) يثوي ثواءً وهو من الإقامة أو طول المقام، وثويت بالمكان أطلت الإقامة فيه، والمثوى هو الموضع أو المكان الذي يقام به، وجمعه مثاوي، لذلك سمي المنزل مثوى، ومنه قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾ [الأنعام من الآية:١٢٨]، أي مقامكم فيها.(١)

ثانياً: المثوى اصطلاحًا.

إن المعنى الاصطلاحي للفظ المثوى لا يخرج عن معناه اللغوي فهو اسم دال على الإقامة مع طول المكث والاستمرار، ثوى ثواءً بالمكان نزل للإقامة فيه.(٢)

من خلال ما سبق يتبين لنا أن المثوى يطلق على المنزل أو مكان الإقامة مع طول المكث.

المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة.

أصل أوى مال، ومأوى الرجل منزله الذي يميل إليه ويقيم فيه، وجاء في القرآن الكريم على وجهين:

ـ الأول: بمعنى الضم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴾[المؤمنون:٥٠]، أي: ضمهما.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت:٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ١٢٠/١٥، باب الثاء والميم، ومقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٣٩٣/١، كتاب الثاء، باب الثاء والواو وما يثلثهما، و لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٢٥/١٤، باب الواو والياء من المعتل، فصل الثاء.

(٢) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، (١١٨)، والكليات للكفوي، (٣٢٩).

ـ الثاني: بمعنى الانتهاء، ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٦٣]، و﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾[الكهف: ١٦]، أي: انتهوا، ويجوز أن يكون قد أراد الميل في الوجهين، في قوله تعالى: (آويناهما إلى ربوة)، أي: أملناهما، وقوله: (إذ أوينا إلى الصخرة)، أي: ملنا، وقوله: (فأووا إلى الكهف)، أي: مالوا.(١)

المثوى أصلها الثواء بمعنى الإقامة، يقال ثوى بالمكان أقام فيه، ويتصرف القرآن الكريم على أوجه:(٢)

ـ الأول: في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾[القصص: ٤٥]

أي: لم تكن مقيماً فيهم، فتعلم من أخبارهم ما تخبر به، وإنما هو وحي.

ـ الثاني: المثوى بمعنى المأوى، في قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد: ١٩]

وفي قوله تعالى: ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾[فصلت: ٢٤]، وهو قريب من الأول؛ بل هو فيه بعينه لأن المثوى: مفعل من ثوى، وقيل للمنزل والمسكن: مثوى؛ لأن صاحبه يقيم فيه.

ـ الثالث: بمعنى المنزلة، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣]، أي: أعلى منزلتي.

المطلب الرابع: الفرق بين المأوى والمثوى حسب آراء المفسرين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران من الآية: ١٥١].

والمثوى: مفعل من ثويت أي: أقمت، وقدم المأوى وهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان على المثوى وهو مكان الإقامة، لأنه على الترتيب الوجودي، إذ أن الإنسان يأوي إلى المكان ثم يثوي فيه أي يقيم ويستقر، ولا يلزم من المأوى الإقامة، بخلاف عكسه إذ يلزم من المثوى الإقامة، وفي

(١) ينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، (٨٦).
(٢) المصدر نفسه (١٥٥-١٥٦).

جعل هذه النار مثواهم بعد جعلها مأواهم إشارة إلى خلودهم فيها، فإن المثوى مكان الإقامة المنبئة عن المكث، وأما المأوى فهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان.(١)

المأوى اسم مكان من أوى يأوي وهو الذي يرجع إليه الإنسان ويعود إليه، ويقيم فيه إقامة طويلة، أما المثوى فهو أيضًا اسم مكان من ثوى يثوي أي أقام إقامة لا نهاية لها، والمعنى أن الكافرين إذا ألقى الله في قلوبهم الرعب خسروا في الدنيا، وليس لهم مأوى في الآخرة إلا النار، وبئس هذه النار موضع إقامة دائمة لهم.(٢)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٩-٤١] ،

المأوى: اسم مكان من أوى، إذا رجع، فالمراد به: المقر والمسكن لأن المرء يذهب إلى قضاء شؤونه ثم يرجع إلى مسكنه.(٣)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٢] ، يصف الله عز وجل المؤمنين ويذكر فضلهم في إيواء الرسول والمسلمين معه عند الهجرة ونصرتهم له، فالإيواء هنا جاء يتضمن معنى التأمين من المخافة، إذ أن المأوى هو الملجأ والمأمن، كما تضمنته آيات بهذا المعنى منها: قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ

(١) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ٤٣٦/٣، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي (ت:١٩٩٩هـ)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ٢٩٤/٢.

(٢) ينظر: زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت:١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، ١٤٥٠/٣.

(٣) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ، ٩٣/٣٠.

كَذِبًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف: ١٠-١٦] قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾ [الضحى: ٦] ،قوله تعالى: ﴿ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴾ [المعارج: ١٣] ، قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَـِٔسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [يوسف: ٦٩]

وقد أطلق المأوى في محكم التنزيل على الجنة وهو على الأصل في استعماله، وعلى نار الجحيم، وهو من باب التهكم والسخرية والاستهزاء، ومغزاه بيان أن من كانت النار مأواه لا يكون له ملجأ ينضوي إليه، ولا مأمن يعتصم به إلا النار أجارنا الله وإياكم منها.()

فمن خلال تتبع لفظتي المأوى والمثوى لوحظ أن كلتاهما استخدمتا في ذكر الجنة والنار كمسكن ومستقر على حد سواء إلا أن المثوى كان أكثر في ذكر النار في غالب الآيات، ولم يخصص المأوى لذكر الجنة والمثوى لذكر النار كما ذهب البعض، كما لوحظ أن هناك آيات جمعت المفردتين في نفس الآية.

والملاحظ أن المثوى قد يأتي في معنى المأوى وليس العكس، وقول القائلين إن المثوى في موضع ذكر النار والمأوى في موضع ذكر الجنة غير صحيح لأننا من خلال عرض الآيات والنظر إلى مواضع ذكرها واستقرائها وتحليلها تبين لنا أن كلًا من اللفظين قد استخدمتا معًا في موضعي ذكر الجنة والنار، ونجد أنهما يشيران إلى المعنى نفسه ألا وهو مكان الإقامة والمسكن والمنزل والمستقر، إلا أن هناك فرقًا بسيطًا بينهما وقد تم التطرق إلى ذكر ذلك فيما سبق.

المبحث الثاني
آيات المأوى والمثوى بمعنى المقام والمرجع والمنزل والمستقر وأقوال المفسرين فيها

المطلب الاول: ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (١) ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (٢)

الله سبحانه وتعالى يبين في هاتين الآيتين ما يصير إليه المؤمن والكافر يوم القيامة، فالكافر أخبر الله تعالى أنه أعد له ناره التي اسمها الجحيم، فهي منزله ومأواه، ومصيره الذي يصير إليه يوم القيامة، والمؤمن أعد له الجنة التي هي مأواه ومنزله يوم القيامة(٣).

والْـمَأْوى هو المسكن حيث يأوي إليه المرء ويلازمه(٤). «فَإِنَّ الْجَحِيمَ التي ذكر شأنها هِيَ الْـمَأْوى أي مأواه على ما رآه الكوفيون من أن أل في مثله عوض عن المضاف إليه الضمير وبها يحصل الربط أو المأوى له على رأي البصريين من عد كونها عوضا ورابطا، وهذا الحذف هنا للعلم بأن الطاغي هو صاحب المأوى وحسنه وقوع المأوى فاصلة وهو الذي اختاره الزمخشري. وهي إما ضمير فصل لا محل له من الإعراب أو ضمير جهنم مبتدأ والكلام دال على الحصر أي كأنه قيل فإن الجحيم هي مأواه أو المأوى له لا مأوى له سواها»(٥).

(١) سورة النازعات، الآية: ٣٩.

(٢) سورة النازعات، الآية: ٤١.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٢٤/ ٢١٢.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ - ١٤٢٢ هـ، ٥/ ٤٣٥.

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، ١٥/ ٢٣٧.

المطلب الثاني: ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ (١)

أَيْ: «وَمَصِيرُكُمْ وَمَرْجِعُكُمْ بَعْدَ عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ إِلَى النَّارِ، وَمَا لَكَمَ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُكُمْ، وَلَا مُنْقِذٍ يُنْقِذُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. وَهَذَا حَالُ الْكَافِرِينَ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَبِخِلَافِ ذَلِكَ»(٢).

فالكافرون تلحقهم مخازي كثيرة يوم القيامة وَمن هَذِهِ المَخَازِي التي تعمهم جميعًا عذاب الخزي في النار التي ستكون مأواهم ومصيرهم(٣).

وهنا الله تعالى يخاطب عبدة الأوثان جميعاً أنهم هم والأوثان معهم في {النار} لتزيد في عذابكم ويزداد بغضكم لها {وما لكم} وأعرق في النفي فقال: {من ناصرين*} أصلاً يحمونكم منها، ويدخل في هذا كل من وافق أصحابه من أهل المعاصي أو البطالة على الرذائل ليعدوه حسن العشرة مهذب الأخلاق لطيف الذات، أو خوفاً من أن يصفوه بكثافة الطبع وسوء الصحبة، ولقد عم هذا لعمري أهل الزمان ليوصفوا بموافاة الإخوان ومصافاة الخلان، معرضين عن رضى الملك الديان(٤).

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، ٦/ ٢٧٢.

(٣) ينظر: :التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ٢٠/ ٢٣٧.

(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤/ ٤٢٤.

المطلب الثالث: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ (١)

هي إحدى الجنان التي يجازي بها الله تعالى المؤمنين، وهذه الجنة تَعْنِي جَنَّةَ الْمَبِيتِ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: يُرِيدُ أَجَنَّهُ. وَالْهَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: أَدْرَكَهُ كَمَا تَقُولُ جَنَّهُ اللَّيْلُ أَيْ سَتَرَهُ وَأَدْرَكَهُ.

وهي تقع عن يمين العرش كما قال ابن عباس، وقيل تحت العرش في السماء السابعة، وَقِيلَ: هِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي آوَى إِلَيْهَا آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى أَنْ أُخْرِجَ مِنْهَا.

وقد ذكرت أقوال في من يسكنها: قَالَ الْحَسَنُ: هِيَ الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا الْمُتَّقُونَ. وَقِيلَ: إِنَّهَا الْجَنَّةُ الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ، وَقِيلَ: إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ كُلِّهُمْ فِي جَنَّةِ الْمَأْوَى. وَإِنَّمَا قِيلَ لَهَا: جَنَّةُ الْمَأْوَى لِأَنَّهَا تَأْوِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيَتَنَعَّمُونَ بِنَعِيمِهَا وَيَتَنَسَّمُونَ بِطِيبِ رِيحِهَا. وَقِيلَ: لِأَنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَأْوِيَانِ إِلَيْهَا، او يأوي إليها الملائكة جميعًا[٢].

(١) سورة النجم، الآية: ١٥.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣ - ١٤٢٠ هـ، ٢٨/ ٢٤٤، والجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ١٧/ ٩٦.

المطلب الرابع: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [١]

يخاطب الله تعالى نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) وما كنت مقيما فِي أَهْلِ مَدْيَنَ وهم شعيب والمؤمنون به[٢].

فالله سبحانه وتعالى يذكر دليلًا يثبت فيه أن القرآن وحي من عند الله، وأن محمد (صلى الله عليه وسلم) نبي مرسل من عندهِ تعالى، حيث فصل فيه من الأحوال التي لا يتسنى معرفتها إلا بالمشاهدة أو التعلم ممن شاهدها، والتي تتمثل بالمكوث والاقامة في أهل مدين، وقد انتفى كلاهما فتبين أنه بوحي من علام الغيوب[٣].

(١) سورة القصص، الآية: ٤٥.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣- ١٤٠٧ هـ ، ٣/ ٤١٧.

(٣) ينظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، ٢٠/ ٦٥.

المطلب الخامس: ﴿وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (١)

﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٢)

مثوى بمعنى مرجع، ويعني: أنَّ مرجعهم الذي يرجعون إليه يوم القيامة، النارُ «وبئس مثوى الظالمين»، يقول: وبئس مقام الظالمين - الذين ظلموا أنفسهم باكتسابهم ما أوجب لها عقابَ الله – النارُ(٣)، فالله تعالى يذكر عقاب الظالمين في الآخرة، وهي النار وأنها ستكون مصيرهم ومقرهم(٤).

وفى التعبير بالمثوى إشارة الى أن مكثهم في النار سيكون طويلا، وفيه دلالة على خلودهم فيها (٥).

اما القول في: «(بئس مثوى المتكبرين) أَيْ: بِئْسَ الْمَقِيلُ وَالْمَقَامُ وَالْمَكَانُ مِنْ دَارِ هَوَانٍ، لِمَنْ كَانَ مُتَكَبِّرًا عَنْ آيَاتِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ رُسُلِهِ»(٦).

هَذَا يَدُلُّ عَلَى تَفَاوُتِ منازل الظالمين والمتكبرين فِي الْعِقَابِ، فَيَكُونُ عِقَابُ بَعْضِهِمْ أَعْظَمَ مِنْ عِقَابِ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا صَرَّحَ تَعَالَى بِذِكْرِ الْخُلُودِ لِيَكُونَ الْغَمُّ وَالْحَزَنُ أَعْظَمَ(٧).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٢٩.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٧/ ٢٧٩.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ٤/ ١٢٦.

(٥) ينظر: تفسير المراغي، ٤/ ٩٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٥٦٧.

(٧) ينظر: فاتيح الغيب = التفسير الكبير، ٢٠/ ٢٠٠.

المطلب السادس: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ (١)

يقول الله تعالى : «أليس في النار مَثْوًى ومَسْكَن لمن كفر بالله، وجحد توحيده وكذّب رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا تقرير، وليس باستفهام»(٢).

فأَلَيْسَ تقرير لثوائهم في جهنم فإن الهمزة همزة الإنكار دخلت على النفي، فرجع إلى معنى التقرير، فهما وجهان، أحدهما: ألا يثوون في جهنم، وألا يستوجبون الثواء فيها، وقد افتروا مثل

هذا الكذب على الله، وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثاني: ألم يصح عندهم أن في جهنم مثوى للكافرين، حتى اجترءوا مثل هذه الجرأة؟(٣).

وهذا بَيَانٌ لِجُمْلَةِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَتَقْرِيرٌ لَهَا لِأَنَّ فِي جُمْلَةِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ إِلَى آخِرِهَا إِيذَانًا إِجْمَالِيًّا بِجَزَاءٍ فَظِيعٍ يَتَرَقَّبُهُمْ، فَكَانَ بَيَانُهُ بِمَضْمُونِ جُمْلَةِ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ وَهُوَ بِأَلْفَاظِهِ وَنَظْمِهِ يُفِيدُ تَمَكُّنَهُمْ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ إِذْ جُعِلَتْ مَثْوَاهُمْ. فَالْمَثْوَى: مَكَانُ الثَّوَاءِ. وَالثَّوَاءُ: الْإِقَامَةُ الطَّوِيلَةُ وَالسُّكْنَى(٤) .

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٨.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٠/ ٦٢.

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ٣/ ٤٦٥.

(٤) ينظر: :التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ٢١/ ٣٥.

المطلب السابع: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (١)

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٢)

بين الله تعالى جزاء الكافرين في النار بأنها مأواهم ومسكنهم، حيث أنهم كفروا بالله تعالى، وامتنعوا من تصديق محمد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم، واتباعه على ما يدعوهم إليه مما أتاهم به من عند الله من التوحيد، وحكم القرآن؟(٣).

ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر، والجمع باعتبار معنى (من) كما أن الإفراد في الضمائر السابقة باعتبار لفظها أو لجنس الكفرة فيشمل أهل الكتاب ويدخل هؤلاء في الحكم دخولا أوليا، وأيا ما كان فالمعنى على كفاية جهنم مجازاة لهم كأنه قيل: أليست جهنم كافية للكافرين مثوى، أي هي تكفي عقوبة لكفرهم وتكذيبهم، والكفاية مفهومة من السياق كما تقول لمن سألك شيئا: ألم أنعم عليك تريد كفاك سابق إنعامي عليك، واستدل بالآية على تكفير أهل البدع لأنهم مكذبون بما علم صدقه(٤).

«أي: أليس في جهنم مقام ومأوى لهؤلاء الكافرين المكذبين؟ والاستفهام هنا تقريري أي بلى لهم مأوى ومكان»(٥).

وقوله تعالى: «(أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) يعني: أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن

تكبر على الله، فامتنع من توحيده، والانتهاء إلى طاعته فيما أمره ونهاه عنه»[٦].

أي أليست النار التي ستكون جزاءهم في الآخرة كافية لهم سجنا وموئلا، ولهم فيها الخزي والهوان بسبب تكبرهم وإبائهم عن الانقياد للحق[٧].

«وهذه الآية وَاقِعَةٌ مَوْقِعَ الِاسْتِئْنَافِ الْبَيَانِيِّ لِجُمْلَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٠.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢١/ ٢٨٩.

(٤) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ١٢/ ٢٥٨.

(٥) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ٣/ ٧٣.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢١/ ٣١٩.

(٧) ينظر: تفسير المراغي، ٢٤/ ٢٦.

مُسْوَدَّةٌ عَلَى كِلَا الْمَعْنَيَيْنِ لِأَنَّ السَّامِعَ يَسْأَلُ عَنْ سَبَبِ اسْوِدَادِ الْوُجُوهِ فَيُجَابُ بِأَنَّ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَاهُمْ يَعْنِي لِأَنَّ السَّوَادَ يُنَاسِبُ مَا سَيَلْفَحُ وُجُوهَهُمْ مَنْ مَسِّ النَّارِ فَأُجِيبَ بِطَرِيقَةِ الِاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِيِّ بِتَنْزِيلِ السَّائِلِ الْمُقَدَّرِ مَنْزِلَةَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَثْوَاهُمْ جَهَنَّمُ فَلَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَغْفُلَ عَنْ مُنَاسَبَةِ سَوَادِ وُجُوهِهِمْ، لِمَصِيرِهِمْ إِلَى النَّارِ، فَإِنَّ لِلدَّخَائِلِ عَنَاوِينَهَا»[١].

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ٢٤/ ٥٠-٥١.

المطلب الثامن: ﴿ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [١]

أَيْ: «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَصَبَرُوا أَمْ لَمْ يَصْبِرُوا هُمْ فِي النَّارِ، لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا، وَلَا خُرُوجَ لَهُمْ مِنْهَا،فتكون لهم محل ثواء وإقامة ابدية لهم[٢].وذلك على ما جوزوا به فليس صبرهم بنافعهم، وهو معنى قوله: {فالنار مثوى} أي منزلاً ومقام»[٣].

فهم إذا تركوا الاستغاثة لأجل فرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك، وتكون النار مثوى لهم ومقاما[٤].

أي محل ثواء وإقامة أبدية لهم بحيث لا براح لهم منها، وترتيب الجزاء على الشرط لأن التقدير

أن يصبروا والظن أن الصبر ينفعهم لأنه مفتاح الفرج لا ينفعهم صبرهم إذا لم يصادف محله فإن النار محلهم لا محالة، وقيل: في الكلام حذف والتقدير أو لا يصبروا، والالتفات للإيذان باقتضاء حالهم أن يعرض عنهم ويحكي سوء حالهم للغير أو للإشعار بإبعادهم عن حيز الخطاب والقائهم في غيابة دركات النار(٥).

(١) سورة فصلت، الآية: ٢٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ٧/ ١٧٣.
(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٧/ ١٧٤.
(٤) ينظر: تفسير المراغي، ٢٤/ ١٢٣.
(٥) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ١٢/ ٣٧٠.

المطلب التاسع: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ (١)

يبين الله تعالى في هذهِ الآيات مشهد من مشاهد يوم القيامة وهو موقف حشر الجن وأولياؤهم من الانس واعتراف الانس بطاعتهم للجن وتكذيبهم بالبعث واتباعهم الهوى وتحسرهم على ما صاروا اليه في النار، فيخبرهم الله تعالى أن النار هي مصيرهم وهي مَأْوَاهمْ وَمَنْزِلُهمْ مع أَوْلِيَاؤُهمْ مَاكِثِينَ فيها مُكْثًا مُخَلَّدًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ(٢).

فالله سبحانه وتعالى يخبرهم بأن النار منزلهم جميعاً من غير أن تنفعهم الإحالة على القدر، وهم خالدين فيها أي إلى ما لا آخر له، لأن الأعمال بالنيات، وهم قد كانوا على عزم ثابت أنهم على هذا الكفر ما بقوا ولو إلى ما لا آخر له، فيكون جزائهم من جنس عملهم(٣).

(١) سورة الانعام، الآية: (١٢٨).
(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ٢/ ٦٤، وتفسير القرآن العظيم، ٣/ ٣٣٩.
(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٧/ ٢٦٨.

المطلب العاشر: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ (١)

أي: «الله يعلم متصرفكم فيما تتصرّفون فيه في يقظتكم من الأعمال، ومثواكم إذا ثويتم في

مضاجعكم للنوم ليلا لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو مجازيكم على جميع ذلك»[٢].

ومنهم من قال: «والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم، ويعلم حيث تستقرون في منازلكم أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور»[٣].

ومنهم من قال: وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ في أعمالكم في الدنيا فإنها مراحل لا بد من قطعها. وَمَثْواكُمْ في العقبى من جنة ونار، فإنها دار إقامتكم فاتقوا الله واستغفروه وأعدوا لمعادكم[٤].

(١) سورة محمد، الآية: (١٩).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٤/٢٢.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ٤/ ٣٢٤.

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ٤/ ٣٢٤ ،وأنوارالتنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١- ١٤١٨ هـ، ٥/ ١٢٢.

المطلب الحادي عشر : ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ﴾[١]

يقول: أكرمي موضع مثواه الذي يقيم فيه، وذلك حيث، يقال:»ثوى فلان بمكان كذا»: إذا أقام فيه[٢].

في هذهِ الآية الكريمة يُخْبِرُ الله تَعَالَى بِأَلْطَافِهِ بِالنبي يُوسُفَ، (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، حيث أَنَّهُ قَيَّضَ لَهُ من اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ، فاعْتَنَى بِهِ وَقام بأَكْرَامَهُ، وَأَوْصَى أَهْلَهُ بِهِ، حيث تَوَسَّمَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالْفَلَاحَ[٣].

«وَقَالَ الْمُحَقِّقُونَ: أَمَرَ الْعَزِيزُ امْرَأَتَهُ بِإِكْرَامِ مَثْوَاهُ دُونَ إِكْرَامِ نَفْسِهِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ وَهُوَ كَمَا يُقَالُ: سَلَامُ اللَّهِ عَلَى الْمَجْلِسِ الْعَالِي، وَلَمَّا أَمَرَهَا بِإِكْرَامِ مَثْوَاهُ عَلَّلَ ذَلِكَ بِأَنْ قَالَ: عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً أَيْ يَقُومُ بِإِصْلَاحِ مُهِمَّاتِنَا، أَوْ نَتَّخِذُهُ وَلَدًا، لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُولَدُ لَهُ وَلَدٌ، وَكَانَ حَصُورًا»[٤].

وذكر بعض اهل التفسير أن العزيز أَرَادَ أَنْ يجْعَلَ الاهتمام بالنبي يوسف والْإِحْسَانُ إِلَيْهِ سَبَبًا فِي جلب مَحَبَّتِهِ وَنُصْحِهِ لَهُمَا فَيَنْفَعُهُمَا، أَوْأنهما يَتَّخِذَانِهِ وَلَدًا لهما فَيَبَرُّ بِهِمَا وَذَلِكَ أَشَدُّ تَقْرِيبًا[٥].

(١) سورة يوسف، الآية: ٢١.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ١٥/ ١٨.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٣٧٨.

(٤) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ١٨/ ٤٣٥.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ١٢/ ٢٤٦.

ويرى الباحث:

أن لفظي (المأوى والمثوى) في القرآن الكريم ورد في عدَّة وجووه، فلفظ (المثوى) ورد سبع مرات بصفة العذاب للكافرين والمتكبرين والظالمين، حيث يكون مثواهم في النار وهو مقام أبدي يستقر فيه الكافر الى ما شاء الله تعالى.

أما لفظ (المأوى) فقد ورد في موضعين من مواضع أهل النار أعاذنا الله وإياكم منها.

كما ورد لفظ (المأوى) مرتين في القرآن تدل على الإنعام والخير الكثير الذي يصيب المؤمن.

وهنا يتضح أن المأوى هو مكان إقامة غير مقيد، إنما مفتوح باستطاعة صاحبه أن ينتقل الى مكان آخر، فناسب أن يكون هذا اللفظ لأهل الجنة الذين بتقلبون بنعيمها ويتنقلون في جنباتها، بعكس لفظ المثوى الذي يشير الى التقيد بالمكان والاستقرار فيه وعدم الخروج منه، فكان هذا هو حال أهل النار الذين يقيدون ويحددون في حركتهم، وهذا جزء من عذابهم فيها.

الخاتمة

وفي الختام نقول الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ونصلي ونسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه المصطفين الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وأخيرًا وليس آخرًا أحمد الله تعالى على منه وكرمه بأن وفقني لأتم هذه المسألة البحثية، وأرجو أن تكون خالصةً لوجهه الكريم وأن ينتفع بها، وما كان فيها من خطأ وزلل فمني ومن الشيطان، وما كان فيها من صواب فبتوفيق من الله وحده. وبعد:

فقد كان الحديث في هذه المسألة البحثية عن آيات المأوى والمثوى في القرآن الكريم، وقد تم تتبع ذكر هتين اللفظتين في القرآن الكريم وذكر الفرق بينهما ومعاناهما وتم التوصل إلى نتائج من أهمها ما يلي:

النتائج:

١. أن المعنى اللغوي للمأوى هو نفسه معناه الاصطلاحي وهو اسم للمكان الذي يأوي إليه الإنسان ويرجع.

٢. أن المعنى اللغوي للمثوى لا يختلف عن المعنى الاصطلاحي له وهو من الثواء أي الإقامة بالمكان والنزول فيه مع طول المكث.

٣. أن لفظ المأوى أتى في القرآن الكريم على وجهين هما: بمعنى الضم وبمعنى الانتهاء.

٤. أن لفظ المثوى أتى في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه هي: في لفظ (ثاوياً) أي مقيمًا وكذلك أتى بمعنى المأوى والمنزلة.

٥. تبين أن لفظتي المأوى والمثوى استخدمتا في موضع ذكر الجنة والنار.

٦. لوحظ أن المأوى والمثوى يحملان معان قريبة من بعضهما.

٧. ذهب أحد المفسرين إلى أن الأصل في استخدام لفظ المأوى لذكر الجنة إلا أنها استخدمت في موضع ذكر النار من باب التهكم.

٨. يلزم من المثوى الإقامة في حين لا يلزم من المأوى ذلك.

٩. المأوى مكان يأوي إليه الإنسان ويرجع ويلتجأ أما المثوى فهو مكان للإقامة الأبدية.

١٠. استخدم لفظ المثوى لذكر النار أكثر مما استخدم لفظ المأوى لذلك.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد ابن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٢. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

٣. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت:١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي (ت:١٩٩٩هـ)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

٥. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٦. التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٨. زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت:١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٠. الكليات، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

١١. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٢. مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.

١٤. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، مطابع دار الصفوة – مصر، ط١، من١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ.

١٥. الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٦. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ - ١٤٢٢ هـ.

١٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

١٩. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٢٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢١. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي –

بيروت، ط٣ - ١٤٢٠ هـ.

٢٢. والجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

٢٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣- ١٤٠٧ هـ.

٢٤. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

٢٥. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧.

٢٦. وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١- ١٤١٨ هـ.